مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

دور النظم القرآني في خدمة الإعجاز البلاغي

" آيات البعث أنموذجا"

نبيل ربيع

قسم اللغة والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة1
rabienabil802@yahoo.com

ملخص_

يناقش هذا المقال موضوعا بلاغيامتمحورا حول دور النظم القرآني في خدمة الإعجاز البلاغي، والكشف عن الأسرار اللغوية التي سبق القرآن العرب إليها في آيات البعث؛ وقد انتهج القرآن الكريم أسلوب الجدال مع منكري البعث وإلزامهم الحجة، بعدة مسائل بلاغية، والتي تدخل ضمن خصائص الخطاب القرآني عموما، وكصورة من صور النظم والإعجاز على وجه الخصوص .كمسائل علم المعاني (أسلوب الإستفهام و الأمر ، التوكيد، التصوير الفني وغيرها).

واخترت آيات البعث مثالا وأنموذجا لهذه الدراسة لاحتوائها على مسائل لغوية وبلاغية ، هي جديرة بالدراسة والمتابعة، وختمت ببعض النتائج والتوصيات.

الكلمات الدالة: النظم القرآني، الإعجاز، البلاغة، آيات، البعث.

The role of Quranic systems in Miracles rhetorical Service "Verses of the Baath model"

Abstract -

This article discusses a rhetorical theme, which is: the role of Quranic systems in Miracles rhetorical Service, and the disclosure of the language secrets that already Quran Arabs to in the verses of the Baath; has followed the Koran controversy with the deniers Baath and compel them to argument style, a number of rhetorical questions, which fall within the Quranic discourse generally properties, and as a form of systems and miracles in particular . matter and Intrrogative and emphasis, and artistic photography.

I chose the Baath verses an example and a model for this study because they contain a linguistic issues and rhetoric that are worthy of study and follow-up, and concluded with some findings and recommendations .

Key word: Alqrata systems, the Miracles, the rhetoric, the verses, the Baath.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأزكى صلوات الله وتسليماته على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

لقد اقتضت الإرادة الإلهية أن يؤيد كل نبي بمعجزة تكون أمرا خارقا للعادة وشيئا غير مألوف للناس، وأن تكون مما برع فيه القوم في ذلك العصر، واشتهر فيه، ولذلك كانت معجزة سيدنا موسى عليه السلام عصا تتحول حية تسعى،ويدا تخرج بيضاء من غير سوء، في زمن ظهر فيه السحر، ومعجزة عيسى عليه السلام إحياء الموتى وإبراء الأكمه إذ علا شأن الطب في عهد قومه، أما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد بعث في قوم أهل بيان وفصاحة، فتحت لهم البلاغة أبوابها، فكثر شعراؤهم، وساد خطباؤهم، فكانت معجزته صلى الله عليه وسلم "القرآن" الذي أنزل بلسان عربي مبين، دمغ ببلاغته أئمة الفصاحة الذين اعتقدوا أنهم لا ينازعون في هذا الأمر، وبذلك فاق القرآن ما ألفه العرب من موازين الشعر والنثر، فعجزوا وأدركوا إعجازه البياني الرفيع.

ومن بين القضايا التي يتجلى فيها أثر النظم القرآني، قضايا الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم. وقد عرضت أنموذجا حول الإعجاز البلاغي في آيات"البعث" التي ذكرها القرآن في عدة مواضع، في معرض الحديث عن اليوم الآخر والحشر.وتنطلق إشكالية البحث من مستند أن القرآن الكريم قد نزل بلغة هي من جنس لغة العرب، وهم أئمة البيان وفصاحة، وقد تلقوه بانبهار وتحير وغلبة، من هذا المنطلق تتلخص إشكالية البحث في النقاط التالية: ماهو الأثر المعرفي للنظم القرآني، باعتباره وسيلة لإثراء وخدمة الإعجاز البلاغي؟ وما هو دوره في

تأصيل هذا العلم؟ وما هي أبرز المسائل والمظاهر البلاغية المتعلقة بآيات البعث،؟ وبماذا كان القرآن معجزا، وأين يكمن ذلك؟

بناء على هذه الإشكالية، جاءت هذه الدراسة وفق الخطة التالية:

المطلب الأول: النظم القرآني والإعجاز البلاغي: المفهوم والأثر.

المطلب الثاني: الإعجاز البلاغي في آيات"البعث": دراسة موضوعية.

خاتمة.

المطلب الأول: النظم القرآني والإعجاز البلاغي: المفهوم والأثر.

يتناول هذا المطلب مفهوم النظم القرآني، ثم مفهوم الإعجاز، وأثر النظم القرآني في إثراء الإعجاز البلاغي، باعتباره وسيلة منهجية لها دور في دراسة الإعجاز البلاغي دراسة منهجية، وتصحيح مساره للوصول إلى نتائج متكاملة الجوانب، وتصورات شاملة وكلية حول القضايا المطروحة.

الفرع الأول: مفهوم النظم القرآني والإعجاز البلاغي.

يتناول هذا الفرع تعريف النظم القرآني، والإعجاز البلاغي، في اللغة والاصطلاح، ثم تعريف كل منهما كمصطلح مركب.

أولا: مفهوم النظم القرآني.

النظم القرآني مصطلح قديم، تطورت فكرته على يد البلاغيين كالجاحظ وأبو هلال العسكري، والرماني والخطابي وغيرهم من أصحاب الإعجاز القرآني. حيث يتكون هذا المصطلح من مصطلحين " النظم والقرآن" ، وقبل تعريفه كمصطلح ثنائي ، وجب تعريف كل مصطلح على حدة.

أ- مفهوم النظم:

قبل التطرق إلى تعريف النظم في الاصطلاح، يستلزم معرفة معناه اللغوي.

1- في اللغة:

جاء في لسان العرب:ج:14 :ص:295" النظم: التأليف، ونظمته نظما ونظاما، ونظمته فانتظم وتنظم، ونظمت اللؤلؤ. أي جعلته في السلك، والتنظيم مثله

والنظام:ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره، والنظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ،وكل خيط ينظم به اللؤلؤ أو غيره فهو نظام، وجمعه نُظُمٌ".

مما يلاحظ أن النظم هو ضم الأشياء إلى بعضها البعض، وفق نسق محدد ومعين، تشبيها وتمثيلا بذلك حبات اللؤلؤ في قالب يجمعها ويضمها في سلك واحد وشيء من الإتساق.

2- في الاصطلاح:

فالنظم يقتضي ترتيب الكلمات والألفاظ عند النطق بها، مع موافقة المعاني المراد التعبير بها.

وعرفه شيخ العربية عبد القاهر الجرجاني بقوله:"واعلم أن ليس "النظم" إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو"، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها "[1]، وفي نفس المقام يقول:

"واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك" [2].

ب- مفهوم القرآني:

نبدأ أولا بتعريف القرآن في اللغة، ثم في الإصطلاح.

1 – في اللغة: تعددت الأقوال في تحديد معنى كلمة قرآن، ومن هذه الأقوال:

القول الأول: أنه مصدر مشتق من فعل قرأ بمعنى تلا، فالقرآن بمعنى التلاوة، وهي القراءة، فهما بمعنى واحد أي: التلاوة. فالقرآن على وزن فعلان بالضم.

[1] دلائل الإعجاز صـ 81.

[2] السابق صـ 55.

ودليل ذلك قوله تعالى :{لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18)} [القيامة:16-19].

والمعنى:إن علينا جمعه، أي حفظه، وقرآنه أي تلاوته، فإذا قرآناه أي تلوناه، فاتبع قرآنه أي تلاوته كما تلوناه.

القول الثاني: ذهب الشافعي إلى أن لفظ قرآن ليس مشتقا، ولا مهموزا (أي قران) بل ارتجل ووضع اسما للكلام المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، كما ارتجل لفظ التوراة ولفظ الإنجيل. **دليله في ذلك:** قال العلماء:" لو كان القرآن مشتقا من فعل قرأ لأمكن إطلاق لفظ القرآن على كل ماهو مقروء، ومن ثم كان تأليفا بشريا.وهذا لا يجوز.فالقرآن عند الشافعي لم يؤخذ من قرأت، ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قرء قرآنا، ولكنه اسم للقرآن، مثل التوراة والإنجيل.

القول الثالث: ذهب الزجاج إلى أن لفظ قرآن مهموز على وزن فعلان، مشتق من قرأ، بمعنى جمع، ومنه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه فيه، لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة.

ودليله في ذلك: أنه سمي الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة.

والراجح من الأقوال السابقة الذكر هو القول الأول، وهو ما ذهب إليه الدكتور صبحي الصالح إذ قال:" والأخير- إشارة إلى القول الأول- أقوى الآراء وأرجحها فالقرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة "[1]

2- **في الإصطلاح:** تعددت تعاريف العلماء للقرآن بسبب تعدد الزوايا التي ينظر العلماء منها إلى القرآن، من بين تلك التعاريف ما يلي:

- " القرآن هو الكتاب المعجز المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر بلا شبهة ".

[1] مباحث في علوم القران، صبحي صالح،دار العلم للملايين، ط 10، 1977م،ص:18.

- " القرآن هو الكلام المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس ".

- **القرآن عند الأصوليين والفقهاء وأهل العربية:** هو كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله علي وسلم المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر والمتعبد بتلاوته.

وعليه نخلص إلى تعريف شامل جامع للقرآن الذي هو:" الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم باللفظ العربي المكتوب في المصاحف المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته".

ج- **النظم القرآني اصطلاحا:** من خلال التعاريف السابقة للنظم آن لي أن أجمع مفهوما شاملا متكاملا لمصطلح النظم القرآني الذي يعني: لون ووجه من وجوه الإعجاز القرآني ، يعتمد على الترتيب البديع لكلمات القرآن الكريم في جملها من جهة، واختيار هذه الكلمات من جهة أخرى، ثم ترتيب الآيات والجمل في السورة على نمط فريد ومتكامل.

ثانيا: مفهوم الإعجاز البلاغي.

إذا كان القرآن الكريم قد نزل بلغة هي من جنس لغة العرب، وهم أئمة بيان وفصاحة، وقد تلقوه بانبهار وتحير وغلبة، نتج عندهم وجه من وجوه الإعجاز، عرف بالإعجاز البلاغي. فما مفهومه؟ وما هي أوجهه؟

أ- **الإعجاز البلاغي في اللغة:**

الإعجاز البلاغي مصطلح مركب، نقوم بتعريف كل جزء منه على حدة في اللغة، ثم في الاصطلاح.

1 – **الإعجاز في اللغة:**" مشتق من العجز، والعجز الضعف، أو عدم القدرة، وهو مصدر أعجز بمعنى الفوت أو السبق".

2 – **البلاغة في اللغة:**" من بلغ ، يقال بلغ المكان بلوغا، وصل إليه وانتهى. وبلغه أي شارف عليه وقاربه".

ب- الإعجاز البلاغي في الاصطلاح: هو أحد أنواع الإعجاز القرآني، حيث يكمن في حسن اختياره للألفاظ والعبارات، بأسلوبه الفصيح ومقامه الرفيع، وذلك من خلال استخدامه لشتى أساليب البلاغة بشكل معجز ومحيّر، أثار في ذلك دهشة الفصحاء والبلغاء، وأعجزهم عن مجاراته وتحديه، والإتيان بمثله.

نلاحظ أن التعريف جاء جامعا وشاملا لجميع الأوصاف المندرجة تحت مضانه.

أهم أوجه الإعجاز البلاغي:

أوجه الإعجاز البلاغي متعددة أهمها:

- النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها.
- الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.
- الدقة في التعبير.
- التناسب في جميع ما تضمنته آي الذكر الحكيم.
- توالي فصاحة ألفاظه.

الفرع الثاني: دور النظم القرآني في تطور البحث في الإعجاز البلاغي.

يظهر أثر النظم القرآني في خدمة الإعجاز البلاغي، في عدة عناصر أهمها:

- القرآن الكريم كنز لا يفنى، ولا تنقضي عجائبه، وهو معجزة الله الخالدة، الذي كلما وقف العلماء عند جانب من جوانبه وجدوا أنفسهم تائهين، وكلما اعتقدوا أنهم بلغوا نهاية المطاف تبين لهم عكس ذلك، لذلك نسمع في كل يوم اكتشافات ووجوها جديدة في الحقل القرآني ووجوه إعجازه، ومع ذلك فإن أعظم وجه هو الإعجاز البلاغي.
- عظمة نظم القرآن وتناسب ألفاظه وقوة دلالتها وإيحاءاتها ، جعلته محل عناية واهتمام الباحثين في الدراسات اللغوية والإعجاز القرآني ؛ وذلك من خلال اكتشافات جديدة في الحقل اللغوي .

- بلاغة الأسلوب القرآني، وتقاصر رقاب البلغاء والخطباء عن الوصول إليه.

- أن القرآن الكريم خاطب الجميع على قدر عقولهم، فقد خاطب العربي بما يفهم ويدرك، كما خاطب الخاصة من الناس ؛ كل ذلك بأسلوب عجيب فريد معجز، يفهمه العامي فهما سطحيا، لكن كلما كان عقل الإنسان أكبر كان تعمقه في فهم الآيات أشد، فالعامي يأخذ المعنى من مجموعة الآيات، لكن الخاصة من الناس تجدهم يدققون في الجمل أكثر وحتى مع الألفاظ والحروف. مما يبين وجود جوانب إعجازية في النص القرآني.

- أن البحث في الإعجاز القرآني، لابد أن يكون عن شيء موجود في كل سورة، ألا وهو الإعجاز البلاغي، لأنه به ينتظم القرآن كله، سورة سورة على اختلافها طولا وقصرا.

- أن القرآن الكريم معجزة على مر العصور، وهو بهذا دليل على مصدره الرباني.

- عظمة الأسلوب القرآني واحتوائه على جميع فنون البلاغة مما توصل العقل البشري إلى استنباطه منها، واحتوائه على فنون أخرى تعجز النفس الإنسانية عن اكتشاف مكمنها.

- الإعجاز البلاغي هو عجز الطاقة البشرية عن الإتيان ومجاراة الأسلوب القرآني.

- روعة الأسلوب القرآني عند مخاطبة النفس البشرية وتنويعه بين الأساليب المختلفة للدخول إلى أعماق النفس، وجمعه بين أرقى أساليب الخطاب.

المطلب الثاني: الإعجاز البلاغي في آيات "البعث"- دراسة موضوعية لنماذج مختارة-

يمثل هذا المطلب دراسة تطبيقية لإبراز الإعجاز البلاغي في موضوع البعث؛ لغنى آياته بفنون بلاغية وبيانية، وجماليات تعبيرية التي تحتاج إلى الإحصاء وحسن الإخراج.ولاهتمام القرآن بهذه القضية وتأكيده عليها، فلقد جعلها في المرتبة الأولى بعد قضية الوحدانية من حيث الاهتمام والاحتجاج؛ وذلك بالاستعانة بالمنهج الموضوعي الذي يقوم على عدة خطوات أولها استقراء القرآن وجمع الآيات التي تناولت الموضوع، والمنظرة بينها لإقامة الحجة على ربانية القرآن، ودلالته على صدق النبوة والرسالة.

وقد جاء هذا المطلب في فرعين، يتناول الأول مفهوم البعث وروده في القرآن، في حين يتحدث الثاني عن الأسرار ولطائف البلاغية الواردة في الآيات القرآنية.

الفرع الأول: (البعث وروده في القرآن).

في هذا الفرع نتناول المعنى اللغوي والاصطلاحي للبعث، وروده في القرآن الكريم.

أولا: مفهوم البعث.

1 – **البعث في اللغة:** وردت عدة تعريفات لغوية للبعث منها: عرفه ابن فارس قائلا:"الباء والعين والثاء أصلٌ واحد، وهو الإثارة. ويقال بعثْتُ النّاقةَ إذا أثَرْتَها"، ويقال:" بعثَهُ يبعثُه بعثاً أرسله وحده، وبعث به: أرسله مع غيره...البعث إثارة بارك أو قاعد، تقول: بعثتُ البعير فانبعث أي أصرته فثار...وقيل البعث الإحياء من الله للموتى".

فالبعث في أصله اللغوي حسب ما جاء في المعاجم اللغوية العربية، يطلق على الإثارة والإرسال والإحياء.

2 – البعث في الاصطلاح:" هو إحياء الله للموتى في قبورهم، وإخراجهم منها بعد جمع أجزائهم الأصلية المعدومة، والتي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره بأعيانها وأعراضها، ورد أرواحها إليها"، ويعني كذلك:" إخراج الناس من قبورهم بعد موتهم ويكون ذلك بعدما ينفخ إسرافيل- عليه السلام- في الصور نفخة الصعق، فيموت جميع الأحياء...ثم تأتي نفخة البعث فتحيا جميع الأموات "[1]

وعليه فالبعث إعادة إحياء الله للموتى في قبورهم، ويكون ذلك بعد النفخة الثانية، فتحيا كل الخلائق للحشر والحساب، وهو معتقد يُقّرُ به المسلمون وبعض طوائف أهل الكتاب.

ثانيا: "البعث" في السياق القرآني:

لقد ورد ذكر البعث وما ينطوي تحت مفهومه في سبعة وأربعون موضعا في القرآن الكريم، منها اثنين وأربعون في سور مكية، وخمسة مدنية. ونظرا لكثرة الآيات الخاصة بالبعث، وتجنبا لتطويل المقال سأكتفي بنماذج تكون بمثابة عينة مختارة .

الفرع الثاني: الإعجاز البلاغي في آيات البعث- نماذج مختارة- .

سيعرض هذا الفرع للإعجاز البلاغي في ألفاظ ومعاني آيات البعث، حيث يبرز طريقة انتقاء القرآن الكريم للألفاظ الفصيحة المعبرة عن المعاني المناسبة بدقة وذلك في نسق متراكب ومتجانس، مراعيا في ذلك جانب التصوير الفني، كما يبرز هذا الفرع الاستخدام القرآني لمختلف أساليب علم المعاني من أمر واستفهام وتوكيد، معرجا على أسلوب التعبير عن الماضي والمستقبل بطرق مختلفة.

---

[1] علي أحمد عبد العالي الطهطاوي ،الحياة بعد الموت ، دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ،ط1 ،1424ه- 2004م ، 267/1

أولا: الإعجاز البلاغي في انتقاء الألفاظ المناسبة في آيات البعث

الكلمة هي تلك المادة الخام التي يتشكل منها الكلام، ويعلو ذلك الكلام أو يسفل بحسن توظيفه للكلمة في معناها المناسب، أو سوء ذلك، وقد بلغ القرآن الكريم المرتبة العليا والمكان الأسمى بعلو ألفاظه وفصاحتها وبلاغتها وحسن توظيفها للتعبير عن المعاني بدقة، وهذه نماذج عن تعبير القرآن بالألفاظ المناسبة للمعاني:

- قال تعالى:{ يوم تمور السماء مورا(9)} [الطور:9]، فلفظة "تمور" عبرت بجرس حروفها عن انسجام مع السياق وبظلها عما سيحدث للسماء من اضطراب، وجريان وعدم استقرار، والمَوْرُ كما جاء في القاموس المحيط: مأخوذ من مار يمور مَوْرا أي تردد، والمَوْرُ الموجُ والاضطراب والجريان على وجه الأرض والتحرك، وناقة موّارة سهلة السير سريعة، وسهم مائر خفيف نافذ داخل الأجسام، قال ابن عباس وقتادة في تفسير هذه الآية: تتحرك تحركان وقال مجاهد: تدور دورا واللفظة مألوفة عند العرب ، فهي ليست بالغريبة ولا المستهجنة، استعملوها في أشعارهم وخطبهم، قال الأعشى:

كَأن مِشْيَتِهَا مِنْ بَيْت جَارَتِهَا مَوْرُ السَحَابَة لا رَيْثُ ولا عَجَلُ.

وكذلك قال قُس بن ساعدة الإيادي:" آيات محكمات مطر ونبات، وآباء وأمهات، وذاهب وآت، ونجزم تمور وبحور لا تفور".فالقرآن من خلال هذا النموذج نجده استخدم ووظف الألفاظ العربية الفصيحة التي كانت معروفة ومألوفة لدى العرب ، وبقواعدهم السائدة أنذاك، ليأتي بأسلوب فني متميز.

ومن خلال هذا المعنى اللغوي يتبين جليا جمالية هذا اللفظ في تصوير هيئة السماء يوم القيامة، فهي مضطربة وقد كانت من قبل ثابتة، ومن جمالية هذا اللفظ أيضا أنه ينتقي انتقاء مميزا يتناسب مع جو السورة إيقاعا وصورا.

- قال تعالى:{ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا(103)} [طه:103]، فلفظة " نسفا" توحي بجرسها إلى عنف الفعل وقوته، فكأنما هي عاصفة هوجاء قد هبت لتقتلع تلك الجبال الراسيات من جذورها فلا تبقي ولا تذر شيئا منها ولا أثرا، ثم يأتي قوله تعالى بعدها:{فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا(104)} [طه:104] ، فلفظة:"صفصفا" عند تأملها نجد أن جرسها الناشئ عن تكرار حرفي الصاد والفاء مما يوحي إلى قوة الفعل وشدته.

فاستعمال لفظتي " نسفا" و"صفصفا" كان استعمالا مناسبا للمعنى الذي استعملتا فيه، حيث بلغتا معنى القوة والشدة على أحسن وأكمل صورة.

- ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:{ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين(89)} [النمل:89]، جاء في لسان العرب: " الفزع الفرق والذعر من الشيء وأفزعه وفزعه: أخافه وورعه فهو فزع، فالناس حينما يسمعون الصيحة يصيبهم الذعر، والفرق والخوف مما يشاهدون من الأهوال فيذلك اليوم المُهَوّل، قال ابو السعود في تفسيره:" أما المراد بالفزع هنا: ما يعتري الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الأمور الهائلة الخارقة للعادات في الأنفس والأفاق من الرعب والترهيب الضروريين الجبليين، وقد ورد الفعل بصيغة الماضي "فزع" مع أنه معطوف على فعل مضارع "ينفخ" للدلالة على تحقق الأمر ووقوعه إثر النفخ، حيث ناسبت اللفظة موقعها مناسبة عجيبة ، حيث قال تعالى في سورة النمل:{ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين(89)} [النمل:89]، وقال في سورة الزمر:{ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم

نفخ فيه الأخرى فإذا هم فيام ينظرون(65)} [الزمر: 65] ، حيث استعمل في سورة النمل لفظة"فزع" وفي سورة الزمر استعمل لفظة:"صعق" ، وإن قال ذلك لمناسبة ما بعده وهو قوله تعالى:{وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون(90)} [النمل:90]، نجد أن كل لفظ وضع في مكانه المناسب المؤدي للمعنى بدقة دون غيره.

فمن خلال هذه الأمثلة وأخرى وهي كثيرة في القرآن الكريم لا يسعنا المقام لعرضها وذكرها، نجد أن القرآن ينتقي الألفاظ الفصيحة والمعروفة عند العرب ويستعملها بدقة في الدلالة على المعاني المقصودة، وذلك بأسلوب بليغ وممتع، مراعيا في ذلك تناسق الألفاظ والعبارات الذي يعد من سمات الأسلوب القرآني.

ثانيا: الإعجاز البلاغي في التناسق الفني في آيات البعث.

لابد لأي كلام من تناسق بين ألفاظه وعباراته من جهة، وبين معانيه من جهة أخرى حتى يسهل فهمه ومعرفة مقصوده، وهذا ما سيعرض في هذا العنصر وذلك في جزأين: الأول في مفهوم التناسق، والثاني يتناول بعض نماذجه في القرآن.

1 – مفهوم التناسق:

أ – في الأصل اللغوي: جاء في لسان العرب:" نسق الشئء نسقا: نظمه، وثغر نسق إذا كانت الأسنان مستوية، ونسق الأسنان انتظامها في النبتة وحسن تركيبه".

فمن خلال ما سبق يظهر أن مادة نسق في أصلها اللغوي تعني الإنتظام والتلاؤم والتألف.

ب- المعنى الإصطلاحي:

التناسق في التعبير هو:" أن يهيئ الأديب لحظة التعبير للألفاظ نظاما ونسقا وجوا يسمح لها بأن تشع شحنتها من

الصور والظلال والإيقاع وتتناسق ظلالها مع إيقاعها مع الجو الشعوري الذي تريد أن ترسمه، ويكون ذلك من خلال تنظيم العبارات فيه على أساس السابق ذكره، بحيث يكون ملائما على طريقة واحدة ونظام واحد متناسق النظم متناسب الفقرات حسن الإيقاع.

فمفهوم التناسق يدور حول اختيار العبارات والألفاظ الدالة على المعاني بدقة مع تناسبها فيما بينها، وتناسب جزيئات الموضوع الواحد ومراعاة الجانب الشعوري والإيقاعي.

2- نماذج من التناسق الفني في آيات البعث:

لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن من احتوائها على مشهد من مشاهد البعث إلا في القليل النادر، حيث ترد متناسقة المواضيع، مبنية الألفاظ، موزعة الجزيئات، في قالب تنغيمي إيقاعي، ومن أمثلة ذلك:

- قوله تعالى:{ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون(95)} [الأنعام:95]، وقوله تعالى:{وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا(47)} [الكهف:47] حيث استعمل في الآية الأولى لفظة "فرادى" ولم يستعملها في الثانية، ويعلق أحمد الغرناطي في كتاب ملاك التأويل على هذا فيقول:" إن ذلك مراعى فيه ما أعقبت به من قولكم:{ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما

كنتم تزعمون(95)} أي منفردين عما كنتم تأملون من أندادكم ومعبوداتكم من دونه- عزوجل- أما آية الكهف فسبقها قوله تعالى:{ وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا(47) }[الكهف:47]، ثم قال:{ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا(50)} [الكهف:50]، أي مجردين من كل متعلق، حيث يخبر تعالى عن أهوال يوم القيامة، وما يكون فيه من الأمور العظام، كما قال تعالى:{ يوم تمور السماء مورا(8) وتسير الجبال سيرا(9)} [الطور:8- 9].أي تذهب من أماكنها وتزول.

وعليه فالقرآن الكريم مبني على تناسق بين الآيات، وذلك من خلال حسن توظيف الألفاظ والعبارات بشكل متناسق ودقيق معجز، لأن أسلوبه سيد الأساليب وإيقاعه أجمل الإيقاعات، وأغناها وأكرمها وأسماها، وهذه الصفة لا تنفك عنه في كل السور.

ثالثا: التصوير الفني في آيات البعث.

يعد موضوع البعث في القرآن أحد أهم المواضيع التي حظيت بجانب كبير من الاهتمام في التصوير الفني، وذلك لكثرة سرده للمشاهد والأحداث الأخروية ليوم البعث، وهذا ما سيبين فيما يلي:

1 – التصوير:

أ- لغة:جاء في تاج العروس:" الصورة بالضم: الهيئة والحقيقة والصفة...ويقال: صورة الفعل كذا وكذا أي: هيئته".

فالصورة في الأصل اللغوي تعني الهيئة والصفة والحقيقة الشيء.

ب – إصطلاحا: هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، لكونه يعبر بالصورة الحسية المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس،والمشهد المنظور، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها، فيمنحها الحياة الشائعة أو الحركة المتجددة فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد.

2- الفن:

أ – لغة: جاء في لسان العرب:" والرجل يفنن الكلام: أي يشقق في فن بعد فن، وأفاتِنُنِ الرجل في حديثه وفي خطبته؟ إذ جاء بالأفانينن وأفتّنُ الأساليب، أي أجناس الكلام وطرقه، ورجل مفنَنُ أي:ذو فنون".

ب – اصطلاحا: هو كل عمل أو مجموعة أعمال إنسانية منظمة وتدل على سرعة المهارة ، كما يندرج تحت هذا المعنى جميع الحرف والصناعات والمهارات، وهو في الأدب جودة العرض وحسن السبك وجمال الأسلوب وقوة العاطفة ونشاط الخيال.

أما الفن في القرآن فهو إبداع في الغرض، وجمال في التنسيق، وقوة في التوظيف، وشيء من هذا كله لا يقتضي أنه يعتمد على الخيال والتلفيق والخيال.

ج- نماذج من التصوير الفني في آيات البعث:

ظاهرة التصوير الفني، أكثر ما تكون بروزا في مشاهد القيامة في القرآن الكريم، ومن أكثرها تنوعا أيضا، وذلك لأن التعبير بالتصوير أكثر تأثيرا وأشد إيحاء من التعبير اللفظي المجرد، والقرآن يهدف من خلال عرض هذه المشاهد إلى أن تكون حاضرة في ذهن وحس وقلب ووجدان وشعور المؤمن، ومن أمثلة هذه الشواهد:

- ما جاء في قوله تعالى:{هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مئاب (48) جنات عدن مفتحة لهم الأبواب(49) متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب(50) وعندهم قاصرات الطرف أتراب(51) هذا ما توعدون

ليوم الحساب(52)} [ص:48- 52]، ففي هذه الآيات صور لنا القرآن حال المتقين الفائزين بالجنان: تصويرا فنيا مبدعا، حيث ذكر صاحب لباب التأويل في معاني التنزيل:"أن أهل الجنة عباد الله المخلصين أي: الموحدين، أولئك لهم رزق معلوم، بعني بكرة وعشيا، وقيل: حين يشتهونه يوتون به. وقيل: إنه معلوم الصفة من طيب طعم، ولذة رائحة وحسن منظر، ثم وصف ذلك الرزق فقال :{ متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب(50)} [ص:50]، في هذه الآية تصوير لأهل الجنة وهم يجلسون متكئين يطلبون كل أنواع تلك الفواكه، كما يدل على الراحة والنعيم . ثم صور أزواجهم ووصف حالهن في قوله تعالى:{ وعندهم قاصرات الطرف أتراب(51)} [ص:51].

- ثم نتأمل مشهد آخر في قوله تعالى:{وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج(5)} [الحج:5]، فصورة الأرض الهامدة الخاشعة خشوع الهيبة والجلال لخالقها جل وعلى ،ثم فجأة تهتز وتتحرك وتنفخ وتخرج ألوان النبات من وفها بفضل ربها الذي أنزل عليها الماء، ولكن التعبير القرآني لا يرمي إلى مجرد أداة المعنى الذهني، وإنما يريد الصورة كذلك، والصورة تقتضي هذا التنويع ليتم التناسق مع الأجزاء الأخرى في اللوحة والمتمثلة في خلق الإنسان الذي خلق من تراب{ فإن خلقناكم من تراب(4)} [الحج:4]، ومعلوم أن التراب ساكن وهادئ كصورة الأرض الهامدة، ثم تدرج الخلق من النطفة حسب المراحل المعروفة حتى يكتمل الإنسان ثم يعيش حينا من الدهر، ويموت ،ليبعث بعد ذلك في صورة النبتة التي تصير زوجا بهيجا بعد أن كانت ترابا ميتا، والجو العام لهذه الصورة هو جو الإحياء المرتسم من هذه الأجزاء.

ثالثا: الإعجاز البلاغي في علم المعاني لآيات البعث

يستعمل القرآن الكريم صيغ عديدة فيما يتعلق بأساليب المعاني، وذلك بشكل بليغ يجعل من المعاني أكثر وضوحا وتأكدا في نفوس الخلائق، وهذا من طبيعة موضوع البعث، وسيوضح ذلك في هذه النماذج ، الأول وسيتناول أسلوب الأمر والاستفهام،أما الثاني فجعلته لأسلوب التوكيد، وخصصت الثالث لأساليب التعبير عن الماضي والمستقبل.

أولا: أسلوب الأمر

1 – مفهوم الأمر:

أ – في المعنى اللغوي:يأتي الأمر في اللغة بمعنيين: أحدها بمعنى الشأن والحادثة، والآخر بمعنى طلب حصول الفعل وهذا هو المقصود في هذا المقام، حيث يقول ابن منظور:"الأمر:الحادثة، والجمع أمور، وهو نقيض النهي"، فقوله أمرته يعني ألزمته بالفعل، وهذا المعنى مقارب للمعنى الإصطلاحي.

ب- في المعنى الإصطلاحي:

الأمر:ما يطلب به فعل الشيء على وجه الإلزام، وهو مصدر من الأعلى إلى الأدنى، وهو من أنواع الإنشاء ، وقد يأتي على حقيقته وله في ذلك شرطان:

- أن يطلب به إنشاء أمر لم يكن حاصلا وقت الكلام.
- أن يصدر من أعلى إلى أدنى.

فالأمر من الأساليب الإنشائية الطلبية ، وهو طلب فعل الشيء من أعلى إلى أدنى على وجه الحتم والإلزام.

ج- نماذج من الأمر في آيات البعث:

- ما جاء في قوله تعالى:{ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون(241)} [البقرة:241]، قال الزمخشري في الكشاف:" جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل

واحد بأمر من الله ومشيئته، وتلك ميتة خارجة عن العادة، كأنهم أمروا بشيء فامتثلوا، امتثالا من غير إباء ولا توقف"[1]

وقيل:" الأمر بمعنى الخبر، أو أن الله تعالى قال لهم على لسان ملك: موتوا فماتوا".

- ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى:{ قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون(35)} [يونس:35]، حيث أتى الأمر على حقيقته، إذ أمره بأن ينوب عنهم في الجواب، يعني أنه لا يدعهم لحجابهم، ومكابرتهم، أن ينطقوا بالحق، مكلم عنهم.

- ومن ذلك أيضا ما جاء في قوله تعالى:{يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم(1)} [الحج:1] ،قال الآلوسي في روح المعاني:" الأمر في قوله تعالى "اتقوا" المأمور به مطلق التقوى، الذي هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل"، وفعل الأمر واضح في الآية: وهو دال على لزوم الخوف والخشية من الله تعالى وتعظيم حرماته وتجنب نواهيه، كما قيل في التقوى أنها:"الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل".

فالقرآن استخدم أسلوب الأمر بكثرة وبأساليب مختلفة، للدلالة على حقيقة الأمر، وللإشارة إلى معان أخرى كالتعجيز والإهانة والتنبيه والسخرية وغيرها من المعاني.

ثانيا: أسلوب الإستفهام

1 – مفهوم الاستفهام:

أ- في المعنى اللغوي: استفهم من: يستفهم استفهاما، فهو مستقيم، والمفعول مستفهم، واستفهم منه عن الأمر سأله، واستفسر واستوضح وطلب منه أن يكشف عنه.

[1]- محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1408هـ- 1987م، 1/290.

ب- في المعنى الاصطلاحي:

يعرفه يحي بن حمزة العلوي فيقول:" هو طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام، فقولنا: طلب المراد فيه، وفي الأمر، وقولنا: على جهة الاستعلام يخرج منه الأمر، فمنه طلب المراد على جهة التحصيل والإيجاد، أو بمعنى آخر: الاستفهام طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة.

وهو أحد أنواع الطلب أي: طلب الفهم ، وقد يخرج عن ذلك لتقرير أو غيره نحو قول جرير:

أَلستُمْ خَيْر مِن رَكِبَ المَطَايَا؟ وَأَنْدى العَالَمِيْنَ بِطُونِ رَاحِ

فالشاعر في هذا البيت لا يطلب الإجابة عن استفهامه، وإنما أراد أن يذكرهم بشرفهم وعلو شأنهم ومنزلتهم، وبذلك خرج استفهامه عن غرض الطلب إلى غرض آخر.

فمعنى الاستفهام بناءً على هذه التعاريف يدور حول: الاستعلام عن الشيء المجهول لدى المستعلم إلى من علمه، وذلك بأدوات الاستفهام المختلفة، وقد يخرج عن هذا الغرض إلى أغراض أخرى ، وسيُبين بعضها من خلال هذه النماذج المعروضة.

ج- نماذج من الاستفهام في آيات البعث:

استعمل القرآن الكريم أسلوب الاستفهام كثيرا في آيات البعث، ولأغراض مختلفة، وبأدوات متباينة حسب ما يتطلبهويقتضيه المقام والسياق، ومن أبرز ذلك:

- ما جاء في قوله تعالى:{كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون (27)} [البقرة:27]، قال أبو حيان في تفسيرها:"كيف: اسم استفهام عن حال، وصحبه معنى التقرير والتوبيخ، فخرج عن حقيقة الاستفهام، وقيل صحبه الانكار والتعجب.أي: أن من كان بهذه المثابة من القدرة الباهرة والتصرف التام والمرجع إليه آخر فيثيب ويعاقب، فكأنه قيل:كيف

تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتا نطفا في أصلاب آبائكم فجعلكم أحياء بعد هذه الحياة ، ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم.

- كما نلمح استفهام أيضا في قوله تعالى:{وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد(7)} [سبأ:7]، فالاستفهام هنا موجه من بعض منكري البعث إلى بعض، وقد وقع ب:**هل** وهي لطلب التصديق، وقد خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي وقصد به التعجب، والاستهزاء. كما تعني أيضا الاستبعاد والاستهزاء ،أي استبعاد أمر البعث والاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم حين يحدثهم بذلك، فاستخدم أسلوب الاستفهام من خلال هذه النماذج للدلالة على أغراض كثيرة، تخرج عن المقصود من الاستفهام الذي هو طلب الفهم والتعرف على المجهول، ولأغراض أخرى كالتمني أحيانا ولغرض التوبيخ أحيانا أخرى، ولأغراض التعجب والاستبعاد، وتتعدى بذلك أغراض أخرى بشكل دقيق وهادف معبر .

ثالثا: أسلوب التوكيد

1 –مفهوم التوكيد:

أ- المعنى اللغوي: جاء في لسان العرب:" أكدته وأكدته إيكادا، وبالواو أفصح، أي شددته، وتوكيد الأمر وتأكد المعنى، ويقال: وكدت اليمين، والهمز في العقد أجود ويقال: إذا عقدت فأكد وإذا حلفت فوكد...ووكد الرجل والسرج توكيدا شده، والوكائد: السيور التي يشد بها".

كما جاء في مختار الصحاح:" التوكيد لغة في التأكيد، وقد وكّد الشيء ، وأكده بمعنًى والواو أفصح.

ب- المعنى الإصطلاحي:

التأكيد تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة والشمول، وقيل : عبارة عن إعادة المعنى الحاصل قبله، وبعبارة أخرى هو: أن يكون اللفظ لتقرير المعنى الحاصل قبله وتقويته ، ويسمى إعادة.

فالتوكيد فن بلاغي قيم يقوم بترسيخ المعنى وإقراره وتمكينه في النفس، وإزالة الشكوك والظنون المعاكسة لهذا المعنى، ولذا استخدم القرءن الكريم التوكيد كوسيلة تثبيت المعنى في نفوس قارئيه، وإقراره في أفئدتهم، حتى يصبح عقيدة من عقائدهم.

ج- نماذج من أسلوب التوكيد في آيات البعث:

وبما أن القرآن يهدف في المقام الأول إلى ترسيخ العقائد، والعبادات في النفوس عن طريق الأسلوب المعجز، والاستخدام الرائع لفنون الكلام فإنه لم يغفل هذا اللون من البلاغة ، ولما كان الإيمان بالبعث، وما يتبعه من حساب وعقاب، أحد ركائز هذا الدين فإن القرآن استخدم هذا اللون البلاغي للتأكيد على هذه الركائز، ومن ذلك:

- قوله تعالى:{وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين(30) ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون(31) قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون(32)} [الأنعام:30- 32] ، ففي هذه الآيات البيّنات جاء كلام المنكرين للبعث مؤكدا بحشد من المؤكدات، وذلك دليل على كفرهم التام وقناعتهم المطلقة على عدم وقوع البعث، حيث ورد إنكارهم مؤكدا ب "إن" النافية، حيث لم يكتفوا بالإخبار عن المحصور فيقولوا(هي حياتنا) فقط، ولكنهم جاءوا بالنفي، والحصر، أي:لا حياة إلا هذه الحياة الدنيا فقط، ووصف الحياة الدنيا وصف على سبيل التوكيد، إذ لا حياة عندهم إلا الحياة الدنيا، ثم نفوا البعث بقولهم: " وما نحن بمبعوثين" فقد حرصوا في هذه الآية بالنفي المحض، وأكدوا ذلك بالباء في قوله:"بمبعوثين" فموقفهم من القضية يحتم عليهم الإتيان بأدوات التوكيد، فلو جاء كلامهم خاليا من التوكيد لظن السامع أن هناك جهلا بأطراف القضية، وفي مقام رد القرآن الكريم على هؤلاء المنكرين حين يقفون أمام ربهم عن حقيقة هذا الأمر، فنجدهم يؤكدون حقيقته

وصدق وقوعه في ذلك الموقف {) ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون(31)} [الأنعام:31]، وذلك حين يرون البعث بأعينهم ويدركون حقيقته فيقرون ويعترفون به مؤكدين ذلك باليمين، ثم تؤكد الآية الكريمة مدى خسران هؤلاء المنكرين، وذلك مؤكدا ب"**قد**"و"**الباء الزائدة**" في قوله:{ بلقاء} فأكد حقيقة خسرانهم، بسبب تكذيبهم بهذا اليوم بمؤكدين فقط، وذلك لأنه قد عرض لهم من صور العذاب ما يغني عن المزيد من أدوات التوكيد.

وهكذا نجد أن الآية الكريمة ، تحكي إنكارهم للبعث أولا، وتؤكد هذا الإنكار ثم تؤول بهم في النهاية إلى الإقرار به وتأكيد مجيئه.

- ومن ذلك أيضا ما جاء في قوله تعالى:{ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين(7)} [هود:7]، حيث أراد المولى عز وجل أن يبين لرسوله - صلى الله عليه وسلم – مدى تمكن هذا الاعتقاد الخاطئ في نفوس المنكرين، فجزم عز وجل مؤكدا بهذه الإجابة التي سوف يرددها المنكرون للبعث، لذا فقد جاء هذا الخبر مؤكدا باللام الموطئة للقسم، وما يتبعها من نون التوكيد، وكذلك التوكيد بأسلوب القصر، وهو النفي مع الاستثناء ب "**إلا**" وذلك لمزيد التحقيق وتأكيد مقولة هؤلاء المنكرين الذين تمكن هذا الاعتقاد من نفوسهم.

وبهذا تتبين لنا بلاغة الأسلوب القرآني في استخدام هذا الفن، فلا تملك النفس أمام هذا النظم الأسلوبي المؤكد للحقائق الغيبية إلا أن تقر وتؤمن بكل ما احتواه القرآن من معتقدات وتأكيدات على هذه الغيبيات التي تؤكد للإنسان مصيره الذي ينتظره يوم البعث، وذلك بمختلف أساليب وأدوات فنون البلاغة العربية.

رابعا: التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل.

يعد هذا الأسلوب من أبلغ الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في التعبير عن الوقائع والحوادث، وهو من صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر،يقول ابن

القيم عن هذا الفن:"وإنما قصدت العرب بالإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، لأن الإخبار بالفعل المضارع إذا أتي به في حالة الإخبار عن وجود كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذلك لأن الفعل المضارع يوضح الحال التي يقع فيها ، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها، ولبس كذلك الفعل الماضي"[1]

وأمثلة هذا الأسلوب كثيرة في القرآن الكريم منها:

- ما جاء في قوله تعالى:{ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد(16)} [ق:16]، فجاء التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل في هذه الآية في قوله :" **توسوس**" بالمضارع دون الماضي، وذلك للدلالة على شمول علم الله تعالى وإحاطته الدائمة، فلا ينقضي علمه، ولا تحد قدرته فهو على اطلاع دائم بأفعال العبد، وحركاته وسكناته استعماله ، ففي استعماله للفظ المضارع في هذه الآية دلالة على ديمومة علمه بخفايا العباد، وهو أبلغ من استعمال الفعل الماضي.

- ومن أمثلة ذلك أيضا قوله تعالى:{ويقول الإنسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا(66)} [مريم:66]، فلقد جاء التعبير باللفظ المضارع بدلا من الماضي، إذ أن القياس يتطلب الإتيان به في الماضي، لأن هذا القول قد وقع مع منكر البعث وانتهى، ولكن الإتيان به مضارعا لغاية قصدتها الآية، وهي استحضار تلك الصورة الماضية، وذلك أدعى للعجب من قوله، كما أن فيه إشارة إلى أن إنكار البعث سوف يبقى مستمرا مع استمرار وجود النفوس الخبيثة العنيدة والدليل على ذلك أننا نجد اليوم وفي هذا العصر الذي تطور فيه العلم وحسن فيه الإدراك، نرى من ينكر البعث ويجعله ضربا من المحال، كما أفاد التعبير بالمضارع أيضا، الاستمرار التجددي لهذا القول وأنه لا يزال يتجدد حتى ينفخ في الصور.

[1] شمس الدين أبو عبد الله بن القيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 1408هـ- 1988م، ص54.

فمن خلال هذه النماذج يتضح مقام البلاغة القرآنية في التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل، وذلك من أجل زيادة علم الله تعالى، وتأكيد وقوع البعث من خلال التعبير بلفظ الماضي والدلالة به على المستقبل وكأنه حدث وانتهى.

خامسا: التعبير عم المستقبل بلفظ الماضي.

وهو أيضا من صور إخراج الكلام عن مقتضى الظاهر، ويغلب هذا الأسلوب فيما إذا كان الفعل من الأمور الهائلة العظيمة التي تشيع الخوف في النفوس، وتزرع المهابة في القلوب، مثل الآيات العديدة التي تعبر عن وقوع الأهوال في اليوم الآخر، وتتحدث عن البعث والنشور والنفخ في الصور، والجنة والنار، وجزاء الأعمال، ومن أمثلة ذلك:

- قوله تعالى:{ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا(46)} [الكهف:46]، قال:"**حشرناهم**" بلفظ الماضي بدلا من "**نحشرهم**" فقبله فعلان مضارعان، ولكنه عدل عن المضارع إلى التعبير بلفظ الماضي دلالة على تحقق وقوع الحشر، وأنه لتحققه والجزم بوقوعه، فالسياق الآية اقتضى التعبير باللفظ الماضي، الذي يدل على تحقق الوقوع في الزمن الماضي، تأكيدا لوقوع الحشر يوم القيامة وردا على إنكار المنكرين لوقوعه.

- قوله تعالى:{ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل آتوه داخرين(89)} [النمل:89] ، حيث يظهر التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي في قوله:"**فزع**" بدلا من يفزع بلفظ المضارع، وذلك لنكتة بلاغية، وهي أن الفزع عند النفخ في الصور أمر محقق لا شك فيه، وحال الخلق حال خوف ورهبة، وهذا شيء مقطوع به لا يرقى إليه الظن، ولما كان أمرا محققا لا يصح أن يختلف فيه اثنان عبر عنه بلفظ الماضي، الذي يدل على أن الأمر قد حدث بالفعل، فعبر عن هذا الحدث المستقبلي بفعل وبصيغة الماضي وكأنه حدث وانتهى من شدة تأكد وقوعه.

خاتمة-

نخلص في نهاية هذا البحث إلى النتائج التالية:

- أن لفظة "النظم" مأثور إطلاقها على بيان القرآن عند بعض العلماء من سلفنا الصالح كابن قتيبة والطبري وابن عطية الأندلسي وغيرهم.

- أن أقرب مفهوم للنظم القرآني هو: أنه علم يبحث في الأسرار البلاغية واللطائف البيانية التي تتخلل كلام الله تعالى.

- أن الاتصال قوي الرباط بين البلاغة والإعجاز ، فما البلاغة إلا ثمرة إقامة قضية الإعجاز وفكرته، وما النظم ولطائفه إلا أن الإعجاز معلل في جملته. فتبيين الأسرار البلاغية يفضي إلى الإقرار بالإعجاز، ولذلك فإن النظم هو باب الإعجاز ، ومفتاحه البلاغة، ومن رامها من غير هذا الباب فقد جانب الصواب، وآتي البيوت من غير أبوابها.

- أن من أبرز الذين حاولوا التماس دقائق نظم القرآن الزمخشري والرازي والبقاعي والآلوسي من القدماء، وابن عاشور وعبد الكريم الخطيب وعبد الله دراز من المعاصرين.

- أن القرآن الكريم يراعي في موضوع البعث أفصح الألفاظ وأبلغ العبارات في تبليغ المعاني.

- يراعي النظم القرآني جانب التناسق في آيات البعث، حيث يجمع فيه بين فصاحة اللفظ وبلاغة الأسلوب.

- كما أن القرآن الكريم أبدع في التعبير عن الماضي والمستقبل بطرق مختلفة مبرزا بذلك بلاغة قيمة وأسلوبا بليغا في تأكيد المعاني.

وفي ختام هذا المقال لا أزعم أنني قد استقصيت كل آيات البعث في هذا البحث، ولا أقول إني قد أحطت بدقائق نظم ما عرضته منها، وإنما هي نماذج مختارة من الذكر الحكيم، الخاصة بالبعث، وذلك من خلال التحليل البلاغي للنظم القرآني التي وردت من خلاله تلك الآيات، الحمد الله على توفيقه وإنعامه.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

[1]ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (نظم)، ج:12،ص:578.

[2]لجرجاني، علي بن محمد بن علي: التعريفات، تحقيق:إبراهيمالأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت،1405ه، ط1،،ص:310.

[3]القزويني، محمد بن عبد الرحمن جلال الدين:الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2004،ص:19.

[4]محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن،دار القلم، الكويت،ط1993،7،ص:12.

[5]غازي عناية، هدي الفرقان في علوم القرآن، دار الشهاب، باتنة،1983م،ص:20.

[6] المرجع نفسه، ص:22.

[7]تقية عبد الفتاح، الميسر في علوم القرآن، قصر الكتاب،ص:49.

[8]الزركشي، بدر الدين عبد الله، البرهان في علوم القرآن،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،دار التراث، القاهرة،ج2،ص:278.

[9]صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين،بيروت، ط1985،16م،ص:19.

[10]المرجع نفسه،ص:19.

[11]البكري شيخ أمين: نقلا عن مختصر علوم القرآن:د. محمد علي الرديني ،ص:12.

[12]منصور كافي،المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار مدني للطباعة والنشر، البليدة، 2002،ص:33.

[13]ابن منظور، لسان العرب،ج5،ص:370.

[14]مرتضى الزبيدي،تاجالعروس،تح،مجموعة من المحققين، دار الهداية ،دط، دت،مادة بَلَغَ،ج:2،ص:444- 445.

[15]محمد صالح المنجد، أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، عند القرطبي و ابن عطية، بواسطة https :islamqa.info (201620h49/10/20)

[16]ابن فارس، أحمد بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،دط، 1399ه- 1979م، الباب: بعج، ج:1،ص:266.

[17]ابن منظور، لسان العرب،ج2،ص:116و118.

[18]لطهطاوي، احمد عبد العالي: الحياة بعد الموت، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط1، 1424ه- 2004م،ج:1،ص:267.

[19]محمد بن صالح العثيمين: شرح العقيدة الواسطية،إعداد: فهد بن ناصر السليمان،مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان،ط2، 1424ه- 2003م،ص:52.

[20]محمد المكي بن مصطفى بن عزوز: العقيدة الإسلامية، شرح: مجد بن أحمد مكي، دار البشائر الإسلامية، بيرون- لبنان، ودار نور المكتبات، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1421،1ه- 2000م،ص:312.

[21] بدرية بنت محمد العثمان: من بلاغة القرآن الكريم في مجادلة منكري البعث، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1417،1ه، ص: 232 بتصرف.

[22] الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت- لبنان،دط، ج1،ص:488.

[23]أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرءن العظيم، الشركة الدولية للطباعة ، ط2001،1م، ج4، ص:241.

[24] الأعشى: ديوان الأعشى، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، دط،1400ه،1980م، ص:144.

[25]الجاحظ، أبو عثمان بن بحر:البيان والتبيين، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا ،بيروت- لبنان،دط،1423ه- 2003م،ج:12،ص:186.

[26] وليد قصاب:البلاغة العربية- علم المعاني- ، دار القلم، دبي، الإمارات العربية،ط1419،1ه- 1998م،ص:9- 10.

[27] ابن منظور: لسان العرب،ج:8،ص:251.

[28] محمد بن محمد أبي السعود العمادي: تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان،ط1411،2ه،1990م،ج6نص:303.

[29] المصدر نفسه،جزء والصفحة.

[30] ابن منظور: لسان العرب،ج:، ص:715.

[31] سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومنهجه، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، دط، دت، ص:36.

[32] صلاح عبد الفتاح الخالدي: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، دط، دت،ص: 88.

[33] أحمد بن ابراهيم بن العزيز الثقفي الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من أي التنزيل، تح:سعيد فلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان،ط1463،1ه- 1983م،ج:1،ص:461.

[34] عبد المالك مرتاض، نظام الخطاب القرآني"تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن:، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر، 2001م،ص:267.

[35] الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق،تاج العروس من جواهر القاموس، تح،مجموعة من المحققين، دار الراية،دط،دت،ج:1،ص:358،357.

[36] سيد قطب،التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت❖لبنان، ط3، 1386ه، 1966م،ص:36.

[37] ابن منظور،لسان العرب،جك13،ص:326- 328.

[38] صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب،ص:74-79.

[39] سيد قطب، مشاهد القيامة،دار الشروق، دط، دت،ص:229.

[40] صلاح عبد الفتاح الخالدي، المرجع نفسه،ص:215، بتصرف.

[41] الخازن، علاء الدين محمد بن ابراهيم، تفسير الخازن المسمى: لباب التأويل في معاني التنزيل، ضبط وتصحيح: عبد السلام محمد علي شاهين،دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1415،1ه❖1995م،ج:4،ص:447.

[42] صلاح عبد الفتاح الخالدي، المرجع نفسه،ص:119ن بتصرف.

[43] ابن منظور، لسان العرب،ج:4،ص:26- 27.

[44] وليد قصاب، البلاغة العربية- علم المعاني- ، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي- الإمارات العربية، دط، 1422ه- 2000م،ص:40، بتصرف.

[45] المرجع نفسه، ص:281.

[46] الزمخشري،محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت،- لبنان، دط،1408ه،1987م،ج:1،ص:290.

[47] سليمان بن عمر العجيلي، الفتوحات الإلهية لتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر،دط،دت،ج:1،ص:197.

[48] الزمخشري، المصدر السابق،ج:2،ص:629.

[49] الآلوسي، شهاب الدين محمد،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،تح:علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط1415،1ه،1994م،ج:18،ص:110.

[50] المقولة لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه. في تعريفه للتقوى.

[51] أحمد مختار عبد الحميد عمروبمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرةعالم الكتب،ط1429،1ه،2008م،ج:3،ص:1748.

[52] العلوييحي بن محمد،كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلم حقائق الإعجاز، إشراف ومراجعة وتدقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دط، دت،ج:3،ص:261.

[53] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة، بيروت- لبنان، دط،1405ه- 1985م،ص:91.

[54] البيت لجرير في مدح الأمويين، وهو يخاطب الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.

[55]أبو حيان الأندلسي،محمد بن يوسف،تفسير البحر المحيط،تح:صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت- لبنان،دط،1320ه،ج:1،ص:207.

[56]الزمخشري، المصدر السابق،ج:1،ص:121.

[57]عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، الجماهير، دط،ج:2،ص:36.

[58]أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط،ج:8،ص:259.

[59]ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد السيد، محمد أحمد ومحمد مصطفى فتحي، دار الحديث، القاهرة- مصر، دط،1423ع،2002م،ج:3،ص:543.

[60]ابن منظور،لسان العرب، مادة وكد،ج:3،ص:466.

[61]الرازي،زين الدين أبو عبد الله، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، الدار النموذجية، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان،ط1420،5ه-1999م،ج:1،ص:344.

[62]لشريف الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تح:جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،دط،1403ه- 1983م،ج:1،ص:50.

[63]الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصرينمؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيعنط2نبيروت- لبنان،1419ه- 1998م،ص:267.

[64]أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، مطبعة نهضة، مصر، الفجالة –القاهرة،مصرن دط،دت،ص:143.

[65] بدرية بنت حسن العثمان، من بلاغة القرآن الكريم في مجادلة منكري البعث،دار الراية للنشر والتوزيع،لرياض،ط1417،1ه،ص:249.

[66] أبي حيان الأندلسي،محمد بن يوسف، النهر الماد من البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، لبنان،ط1403،2ه،ج:4،ص:105، بتصرف.

[67] بهاء الدين السبكي،عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح،طبعة عيسى الباجي الحلبي وشركاؤه، مصر، دط، د ت،ج:1،ص:218.

[68] الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان،ط3، ج:6-12،ص:196 .بتصرف.

[69] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر،تونس،المكتب الإسلامي،ط1403،1ه، 1983م،بيروت- لبنان، ج:12،ص:9.

[70] درية بنت حسن العثمان، من بلاغة القرآن في مجادلة منكري البعث،ص:262.

[71] عبد القادر حسين، فن البلاغة،،دار الغريب للطباعة والنشر، القاهرة،دط،2006م،ص:180.

[72] ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله،الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط1408،2ه- 1988م،ص:54.

[73] محمد طاهر بن عاشور،المصدر السابق،ج:26،ص،299.

[74] الآلوسي، المصدر السابق،ج:16،ص:117.

[75] بدرية بنت حسن العثمان،المرجع السابق،ص:406.

[76] الزمخشري، المصدر السابق،ج:2،ص:179. بتصرف

[77] وليد قصاب، المرجع السابق،ص:179.